بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصادقين

نشرة نصف شهرية
تصدر عن المكتب الاعلامي
متخصصة بنقل أحاديث وخطابات
وفتاوى وأخبار
سماحة المرجع الديني
آية الله العظمى
الشيخ محمد اليعقوبي
(دام ظله الشريف)

الإسلام محتاج الى جميع ابنائه

العدد ٨٧

الخميس ٣ ربيع الاول ١٤٣١ هـ ١٨ شباط ٢٠١٠م

نعزي العالم الاسلامي بأستشهاد الامام الحسن العسكري (عليه السلام)

الحوزة العلمية وأداء شكر النعمة

في تأبين المرجع الراحل الشيخ المنتظري (قدس سره) (١)

لم ينحدر الفقيد الراحل الشيخ المنتظري (قدس سره) من أسرة علمية فأبوه قروي بسيط لكنه متدين طيب كان شغوفا بأن يسلك ولده طريق العلماء فوجهه الى ذلك وبذل ما يمكنه لتحقيق هذه الأمنية، ورافقت تحصيله صعوبات جمة لا تقتصر على الجوع والفقر والحرمان، وهي على ما يبدو سنة جارية في كيفية صنع العلماء والعظماء، وطلاب الكمال عموما حتى يتأسى بهم المتأسون ولا يستوحشوا الطريق الوعر وإن قل سالكوه.

ورغم ذلك فقد ارتقى الفقيد الراحل في مدارج العلم والعمل حتى فاق اقرانه وأصبح علما من أعلام العصر، ولا استبعد ما سمعته من بعضهم حين نقل عن السيد الخوئي (قدس سره) قوله في الشيخ المنتظري: أنه احذق فقهاء عصره، فالفقيه لا يعرفه إلا فقيه مثله.

لقد نبغ مبكرا وطويت له مسافة تحصيل العلوم فحظي باهتمام أستاذه المرجع الكبير السيد حسين البروجردي (قدس سره) (توفي ١٣٨٠هـ/١٩٦١م) وقد قرر أبحاث أستاذه في الفقه فحرر كتاب (البدر الزاهر في صلاة المسافر) عام ١٣٦٨ أي قبل أكثر من ستين عاما وهو في الثامنة والعشرين من العمر (ولد عام ١٣٤٠هـ).

ولم تقتصر آثاره على الفقه والأصول فقد اعمل فكره الشريف في قضايا عقائدية واجتماعية وسياسية وفكرية. وصفه احد المجتهدين من تلامذته لي قبل سنتين تقريبا بأنه (حر) وهذا الوصف على اختصاره بكلمة واحدة إلا أنه يختزن الكثير من خصال الخير والملكات الشريفة.

فمن علامات ذلك نبذه منذ صغره لحياة أقرانه وحبس نفسه على حياة طلب العلم وسائر الكمالات وتحمل الصعوبات، ومن ذلك رفضه الظلم والاستبداد منذ نعومة أظفاره وانخراطه في العمل الإسلامي فلحقه من الأذى ما لحقه فسجن سنين وعذب وحكم عليه بأقسى العقوبات.

وكان من المتحمسين لوحدة المسلمين والتقريب بين طوائفهم ومتواصلا مع جهود دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة من خلال سكرتيرها الشيخ محمد تقي القمي الذي اختاره السيد البروجردي (قدس سره) لها.

وكان متفاعلا مع قضايا الأمة الإسلامية حتى خارج إيران وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

وكان متحمسا أيضا للإصلاح في الحوزة العلمية والنهوض بواقعها لتكون بمستوى تحمل المهام الواسعة المطلوبة منها وساعيا لحل المشاكل والاختلاف في وجهات النظر التي تحصل أحيانا كما يروي في مذكراته عن مساعيه لدى السيد البروجردي (قدس سره) والسيد الطباطبائي صاحب الميزان بسبب ما حصل لبعض الطلبة من تدريس الأخير لكتاب (الأسفار الأربعة).

وكان السيد الخميني (قدس سره) يعرف مكانة الشيخ المنتظري (قدس سره) وجهاده فعينه خليفة له بعد انتصار الثورة الإسلامية كما تولى مهام ثورية عديدة حتى عزله السيد الخميني قبل عدة أشهر من وفاته عام ١٩٨٩ إلا أنه وجه الفضلاء للاستفادة من علمه، وإن عزله كان من أدواره السياسية فقط لمصالح رآها السيد (قدس سره) ولا يؤثر ذلك على منزلة الشيخ العلمية.

إنه ليحزننا أن يرحل عنا الشيخ المنتظري في مثل الظرف الذي رحل فيه فلم ينل ما يستحقه من التأبين والرثاء والتكريم وعرفان الجميل، وهذا من أخطار السياسة على الدين، فنحن وإن كنا نؤمن بشمول الدين لكل نواحي الحياة ومنها السياسة والحكم. إلا أن العلاقة بين العلماء والحكام أو كما يقال بين السياسة والدين لا بد وأن تحكم بقوانين وضوابط وحدود، ومتى ما تجاوزت السياسة حدودها وأرادت توظيف الدين لمصلحتها أضرت بالدين وأهله، ولا شيء عندنا يعدل الدين، فكل شيء لا بد أن يوظف لإعلاء كلمة الله تبارك تعالى وهداية الناس وصلاح شؤونهم.

لقد كان الشيخ المنتظري (قدس سره) من حفاظ الشريعة وأمناء الأمة ومن الرعيل الأول من الفقهاء الذين افنوا أعمارهم في إرساء دعائم مدرسة أهل البيت (سلام الله عليهم) ونقول فيه: كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) في بعض أصحابه (لقد أوجع قلبي موت أبان) (لولا زرارة لمات فقه أبي).

كنا نعرض آراءه الشريفة في بحثنا ونناقشها ونقول عنه (دام ظله الشريف) واليوم نقول عنه (قدس الله سره الشريف) وفي ذلك عبرة لنا فـ (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة وفاته وهو مسجى بين أهله وأصحابه (أنا بالأمس صاحبكم، واليوم عبرة لكم، وغدا مفارقكم) فإنا لله وإنا إليه راجعون، ونسأل الله تعالى أن يجمعنا وإياهم في مستقر رحمته تحت ظله، يوم لا ظل إلا ظله.

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في تأبين المرجع الشيخ المنتظري الذي وافته المنية يوم ٢/ محرم/ ١٤٣١ وكانت الحوزة العلمية في تعطيل أيام عاشوراء ١٠ بدأت الدراسة يوم ١٧/ محرم افتتح سماحة الشيخ بحثه الشريف بتأبين المرجع الراحل.

إدامة آثار الشعائر الحسينية ضمانة التقدم (٢)

كانت الزيارة الأربعينية هذا العام ظاهرة عظيمة لا نظير لها عبر التاريخ، وقد تضمنت صفحات مشرقة من المواقف الإنسانية النبيلة ينبغي تدوينها لتنتهل منها الأمم الأخرى، ولم يكن اعتباطا أن يحظى هذا الشعب الكريم باحتضان مرقد أبي الأحرار الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، لينطلق بمبادئه الى العالم كله حينما يأذن الله تعالى بالفرج كان الشعب كخلية نحل في حركة دائبة وأدوار متنوعة لا تجد فراغا في خدمة لم يسده أحد، ولو جندت دولة عظيمة كل إمكانياتها المادية والبشرية لعجزت عن إدارة هذه المسيرة بالشكل الذي كانت عليه، وكان محبوا أبي عبد الله (عليه السلام) يتسابقون لتقديم الخدمات ويتفانون في سبيل الآخرين ويتفننون في نوع الخدمة التي يقدمونها مما يحتاج إلى كتاب ضخم لتدوين تلك المشاهد، ولم ترهبهم الأعمال الإجرامية التي نفذها أعداء الانسانية وذهب ضحيتها الكثير من الشهداء والجرحى بل كان يزداد حماسهم واندفاعهم عقب كل تفجير.

إن السعادة التي كان يعيشها المؤمنون في أجواء المناسبة هي أول جزاء يناله المشاركون فيها، بل هي الجنة التي وعد المؤمنون أن يروها في الدنيا قبل الآخرة، وهل يبحث الإنسان في حياته إلا عن السعادة؟ بينما تجد البعيدين عن الله تعالى وعن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) لا يجدون هذه السعادة مع توفر كل أسباب الرفاه لهم، بحيث تزداد بينهم نسبة القتل والانتحار والجرائم والأمراض النفسية.

لقد وعد الله تعالى كل من أدى عملا صالحا بالأجر قال تعالى (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا)، ولكن مع تفاوت الدرجات بحسب استحقاق العاملين واتقانهم للعمل (فسالت أودية بقدرها) كالطلبة الذين يدخلون الامتحانات وينجحون، فإنهم وإن اشتركوا في أصل النجاح والصعود إلى المرتبة اللاحقة إلا أنهم تفاوتوا في درجات النجاح (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا).

وإن من تمام إتقان العمل وإحسانه أن يحتفظ الإنسان بالآثار التي حصلت له خلال العمل ويديم وجودها، لأن بعضا يكتسب تلك الآثار ما دام في العمل وبمجرد انتهائه يعود إلى طريقته الأولى، وآخر يحتفظ بها مدة أكثر وتضعف تدريجيا إلى أن يفقدها ثم يجددها بعمل آخر، وآخر تختلط مع روحه ودمه فتثبت فيه وتسري منه بركاتها إلى الآخرين، كالأجسام التي تلامس النار، فبعضها يفقد الحرارة بمجرد إبعاده عنها، وأخرى تحتفظ بها مدة ثم تفقدها، وأخرى ـ كالفحم ـ تتحول إلى جمرة متقدة تهب النور والدفء إلى الآخرين.

إن قيمة العبادات والشعائر التي نؤديها بمقدار تحققها لتلك المضامين العالية، قال تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم)، فإذا تجردت عن المضامين فإنها ستفرغ من القيمة إلا أن يتداركها الله تعالى بفضله وكرمه.

خذ لذلك مثالا قشور الفاكهة فإنها ما دامت محتوية على اللب وحافظة له فلها كل القيمة، ولكنها إذا نزعت عنها فلا قيمة لها وترمى في سلة النفايات.

التتمة في الصفحة الثالثة

(٢) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع حشود الزوار الذين وفدوا للسلام على سماحته وهم متوجهون مشيا على الأقدام من مختلف المحافظات لزيارة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) يومي ١٦، ١٧/ صفر/ ١٤٣١

المؤتمر العام الثالث لجماعة الفضلاء

في ذكرى وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي شهدت قبل سبع سنوات انطلاق مشروع جماعة الفضلاء، عقدت هذه المؤسسة الحوزوية المباركة مؤتمرها الثالث بحضور سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي ومئات الفضلاء الذين تسنى لهم الحضور من مختلف المحافظات.

وبعد افتتاح الحفل بتلاوة معطرة من القرآن الكريم، ألقى سماحة الشيخ اليعقوبي خطابا تضمن الإشارة إلى انجازات السنوات الماضية والمهام التي يرجى القيام بها في المرحلة القادمة.

كما ألقى عدد من الفضلاء العاملين كلمات ضمن المحاور المحددة للمؤتمر وانتهى بإعلان عدة توصيات.

نبارك للفضلاء العاملين المخلصين هذا التقدم، نسأل الله تعالى أن يسدد خطاهم لما فيه الصلاح ويتفضل عليهم بالقبول.

الحوزة العلمية وأداء شكر النعمة (٣)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أكمل الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

السلام على رسول الله أمين الله على وحيه، وعزائم أمره، الخاتم لما سبق، والفاتح لما استقبل، والمهيمن على ذلك كله ورحمة الله وبركاته.

السلام على صاحب السكينة، السلام على المدفون بالمدينة، السلام على المنصور المؤيد، السلام على أبي القاسم محمد بن عبد الله ورحمة الله وبركاته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عظم الله تعالى أجورنا وأجوركم بمصابنا المتجدد بفقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي لم تصب الدنيا بمثله وفيه قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (بأبي أنت وأمي طبت حيا وطبت ميتا، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والإنباء، خصصت حتى صرت مسليا عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء) (٤).

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) بات آل محمد (صلى الله عليه وآله) بأطول ليلة حتى ظنوا أن لا سماء تظلهم ولا أرض تقلهم) (٥).

لقد انقطع بموته (صلى الله عليه وآله) التنزيل، ورفع أمان لأهل الأرض (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) (الأنفال: ٣٣).

واستضعف أهل الحق وعلى رأسهم أهل بيته الطاهرون كما أخبر (صلى الله عليه وآله): (أنتم المستضعفون بعدي) وانقلبت الأمة على الأعقاب (أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) (آل عمران: ١٤٤).

وفي هذه المناسبة نستذكر حديثا مرويا عنه (صلى الله عليه وآله) فقد خطب في أصحابه يوما فقال: (أيها الناس إن في القيامة أهوالا وأفزاعا وحسرة وندامة...) إلى أن قالوا: يا رسول الله ما النجاة من ذلك؟ فقال: (اجثوا على ركبكم بين يدي العلماء تنجوا منها ومن أهوالها فإني أفتخر يوم القيامة بعلماء أمتي، فأقول: علماء أمتي كسائر الأنبياء قبلي، ألا لا تكذبوا عالما ولا تردوا عليه ولا تبغضوه وأحبوه، فإن حبهم إخلاص وبغضهم نفاق، ألا ومن أهان عالما فقد أهانني ومن أهانني فقد أهان الله ومن أهان الله فمصيره إلى النار، ألا ومن أكرم عالما فقد أكرمني، ومن أكرمني فقد أكرم الله ومن أكرم الله فمصيره إلى الجنة).

أيها الأحبة:

إن القدر المتيقن من العلماء المشار إليهم في الحديث هم المعصومون من أهل بيت النبي (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وإنما تشمل عموم علماء الأمة باعتبارهم مبلغين عن الأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم) وناقلين لرسالتهم ومتأسين بهم وقائمين بوظائفهم ومتحملين لمسؤولياتهم.

والتكليف العام الذي يجب تلقيه من الحديث الشريف هو وجوب طاعة العلماء السائرين على نهج الأئمة الأطهار والأخذ منهم وإكرامهم وحسن الظن بهم والتحذير من مغبة الإعراض عنهم والقدح فيهم وتوهينهم.

لكن النخبة الرسالية من الأمة يفهمون منه تكليفا آخر وهو الالتحاق بركب العلماء وأن يكونوا منهم، فإنهم لا يكتفون بنجاة أنفسهم وإنما يعملون بما ييسر الله لهم من الأسباب لإنقاذ الأمة من الأهوال والفتن والأخذ بأيديهم نحو الفوز والفلاح. ويتحقق ذلك في أوضح أشكاله بالانخراط في سلك الحوزة العلمية الشريفة وبذل الوسع في تحصيل العلوم وتهذيب النفس وتحصيل الكمالات حتى يصبح من العلماء الذين وصفهم الحديث الشريف وبين دورهم.

وقد حباكم الله تعالى بفضله فجاء بكم من شتى بقاع الأرض على تنوع ثقافاتكم وانتماءاتكم لتكونوا جزءا من هذا الكيان الشريف الممتد في أعماق التاريخ والضارب بأطنابه في جذور الأرض (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) (إبراهيم: ٢٤).

إن الشعور بالانتماء إلى سلسلة من الشموس والكواكب يقف في رأسها رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرون والأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) والشهداء والصديقون والعلماء الصالحون حتى تصل إلى جيلنا الحاضر، إن هذا الشعور يزيد الهمة ويعطي مزيدا من الثقة بالنفس وبالمنهج الذي ينتمي إليه.

إذن كم هو عظيم فضل الله تبارك وتعالى على من انتمى إلى هذا الخط الشريف (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) (يونس: ٥٨) (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) (المطففين: ٢٦) حتى أني أستغرب من غفلة أكثر الناس عن هذا الفضل العظيم، وأتساءل ماذا يوجد في غيره من خير لا يوجد فيه حتى يعرض عنه من يعرض؟

أيها الأساتذة والفضلاء وطلبة العلم:

من حق الله تعالى علينا أن نعرف عظيم نعمته، ونقدم بين يديه عجزنا عن الشكر، وأن نكون أوفياء لنعمته ونقوم بحقوقها وما تقتضيه من واجبات والتزامات تجاه خالقنا تبارك وتعالى ونبينا وأئمتنا (صلوات الله عليهم) خصوصا إمام العصر الشاهد على أفعالنا وأقوالنا (عجل الله تعالى فرجه ومكن له) وتجاه أمتنا التي تنتظر الكثير من الحوزة العلمية الشريفة.

إن نجاة الأمة على يد العلماء لا تتحقق بالقعود والكسل والاكتفاء بتعاطي المصطلحات العلمية، وإنما تتحقق بالعمل الدؤوب ورصد الثغور التي يتسلل منها شياطين الإنس والجن ليثيروا الشبهات والفتن والفساد، وليحرفوا مسيرة الأمة عن صراطها المستقيم الذي حدده لها الله تبارك وتعالى، وفي ذلك قال إبليس: (قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) (الأعراف: ١٦ـ١٧) وحكى تعالى عنه قوله: (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين) (ص: ٨٢ـ٨٣).

إن الله تبارك وتعالى ذم المتقاعسين المتواكلين الذين لا يريدون أن يقدموا جهدا أو تضحية وينتظرون من الغير إنجاز العمل وينشغلون هم بالتشكيك والاعتراض، ولقد ذكر الله تبارك وتعالى مثالا لهم من قوم موسى (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين، قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) لكن الله تبارك وتعالى أثنى على المبادرين إلى العمل المستجيبين لأوامر نبيهم (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين). فكانت عاقبة التخاذل والتمرد والتشكيك التيه جيلا كاملا حتى استبدل بهم ربهم غيرهم (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين) (المائدة: ٢١ـ٢٦).

لذا فإننا بحاجة إلى بذل المزيد من الجهود لننهض بهذه المسؤوليات الإلهية. وقد مرت سبع سنوات على تأسيس هذه الجماعة المباركة وأثمرت جهودها عن مشاريع مهمة أذهلت المطلعين عليها، حين يرون وجود عشرات الفروع من جامعتي الصدر والزهراء (عليهما السلام) والعشرات من المؤسسات الإنسانية والثقافية والدينية وإقامة العشرات من صلوات الجمعة وإنشاء العديد من المراكز المشتركة بين الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية، واعترفوا بأن مرجعيات لها إمكانيات دولة عجزت عن مثل هذه الإنجازات، لكن همم العاملين وزهدهم في الدنيا وقناعتهم بأن ما عند الله تعالى خير وأبقى هو الذي بعث الحياة في كل هذه المشاريع النبيلة وأدامها بفضل الله تبارك وتعالى.

ويبقى طموحنا أكبر بكثير مما أنجز، لأن الكمال لا حدود له فطالبوه لا يقفون عند حد، ولأن التحديات التي تحيط بنا والمسؤوليات الملقاة علينا والأمانة الثقيلة التي تحملناها لا زالت تستنهض المزيد من الجهود.

إننا نأمل من مؤتمركم الشريف هذا أن يحقق نقلة في طريق العمل الصالح ويغنينا بالأفكار والخطوات العملية التي ينبغي اتخاذها في المرحلة القادمة، وفي محاور متعددة منها:ـ

١ـ الاهتمام بالتبليغ الإسلامي وانتشار الخطباء والمبلغين والمرشدين في أصقاع الأرض داخل العراق وخارجه وأن يأخذ الطلبة والطالبات في فروع جامعات الصدر والزهراء في المحافظات وسائر المدارس الدينية دورهم في أداء هذه الرسالة الشريفة، وقد كانت تجربة عدد من الأخوة العاملين المخلصين الذين انتشروا في محافظة ديالى خلال الموسمين الماضيين تجربة مثيرة للفخر والاعتزاز وتستحق التأسي والثناء.

٢ـ الارتقاء بشخصية الحوزوي ليكون قائدا حقيقيا في المساحة التي يشغلها وهذا يتطلب جدا واجتهادا في التحصيل العلمي وفي تهذيب النفس والسلوك والانفتاح على حاجات المجتمع ومشكلات العصر وأنواع الثقافات السائدة والاطلاع الواسع على الكتب والنشرات والمجلات وسائر وسائل المعلومات العصرية ليكون مواكبا لعصره ويحافظ على تقدمه على المجتمع حتى يجد الناس عنده ما يحتاجون إليه، وإلا فهم سيخلفونهم وراء ظهورهم.

٣ـ نشر الحوزات العلمية والمدارس الدينية والمعاهد القرآنية في جميع المدن لتعليم الفقه والعقائد والأخلاق والتعريف بفضائل أهل البيت (عليهم السلام) وسيرتهم المباركة، فإن مثل هذه الحوزات هي مصدر الإشعاع ومفتاح البركات للمجتمعات التي تحتضنها.

٤ـ إغناء خطاب الجمعة بكل ما يلامس واقع الأمة وهمومها والانسجام مع وظائف هذا المنبر المقدس وتوجهات المرجعية الدينية، وأن يكون ملبيا لتنوع الحضور ومستوياتهم.

٥ـ محافظة الحوزة العلمية على وحدتها وألفتها مهما اختلفت وجهات النظر والتعاطي معها بحسن الظن ما دامت تصب في الهدف الإلهي المبارك، والتعامل مع هذا الاختلاف في الأساليب على أنه تنوع أدوار بحسب ما تقتضيه ظروف العمل، ولا يمكن أن يكون ذلك سببا للتقاطع والتباعد فإنه غير مشروع وهو سبب فشل المؤسسات وانهيارها، قال تعالى: (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) (الأنفال: ٤٦).

٦ـ النهوض بواقع الشعائر الدينية وخصوصا الشعائر الحسينية لتكون محققة للأهداف التي سالت تلك الدماء الزواكي الطواهر من أجل تحقيقها، لأننا نلمس مع الأسف تسطيحا لهذه الشعائر وتراجعا في الممارسات لتصبح غالبا خالية من تلك الأهداف ولا تترك تأثيرا حقيقيا على نفوس الملايين إلا في وقت ممارستها، مع الإشادة التامة بالنبل والمواقف الكريمة التي تجلت في الزيارة الأربعينية والتي تستحق أن يفرد لها كتاب خاص لتطلع البشرية على التجليات الإنسانية فيها. لكن هذه المسيرة المليونية يمكن أن تساهم بشكل كبير في تعجيل الظهور الميمون المبارك إذا أبرزت بشكل أكبر الأهداف والمبادئ التي أعلنها الإمام الحسين (عليه السلام)، وإنما يتحقق التأسي به (عليه السلام) بمقدار تجسيد تلك المبادئ والمحافظة عليها وليس بمقدار شج الرؤوس بالسيوف وإدماء الظهور بالسلاسل والمشي على الجمر وبعض الممارسات التي تشوه الصورة الناصعة لمدرسة أهل البيت (سلام الله عليهم).

التتمة في الصفحة الثالثة

(٣) خطاب سماحة آية الله العظمى الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في المؤتمر العام الثالث لجماعة الفضلاء المنعقد في النجف الأشرف في الذكرى السابعة لتأسيسها بمناسبة وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يوم السبت ٢٨/صفر/١٤٣١ الموافق ٢٠١٠/٢/١٣.

(٤) بحار الأنوار: ٢٢/ ٥٢٧ عن المجالس للشيخ المفيد. (٥) بحار الأنوار: ٢٢/ ٥٣٧ (٦) المعالم المستقبلية للحوزة العلمية: ١٢ (٧) الخصال للشيخ الصدوق: ٣٦ باب الاثنين.

الإساءة الأشد جرماً لمقام المرجعية (٨)

خرجت هنا وهناك مظاهرات تندد بكلمات نابية صدرت من بعض وعاظ السلاطين في المملكة العربية السعودية تجاه مراجع الدين الشيعة في النجف الأشرف، وهذا الموقف واحد من حقوق المرجعية على أتباعها، ونحن مع تقديرنا للنوايا الحسنة، والعاطفة النبيلة لعامة الناس الين شاركوا فيها، نلفت النظر الى أن الكثير من القائمين عليها هم من المتاجرين بالدين الذين يوظفون كل شيء لمصالحهم ويغلفون تصرفاتهم بعناوين براقة تخدع الناس وتسوقهم الى حيث يريد أولئك الذين وصفهم الإمام الحسين (عليه السلام) (الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون). لقد مارس بعض من ينتحل التشيع وينسب نفسه الى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أقذر الأساليب للإساءة إلى المرجعية التي لا تخدم دنياه بل تنكر عليه أفعاله البعيدة عن تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) وتفضح زيف تلبسه بالدين فلم يتورعوا عن الكذب والتشويه والتسقيط وافتراء التهم وتلفيق الأمور وانطلقوا بجرائمهم هذه الى شرق الأرض وغربها لا لشيء إلا لكي يبقوا يلعقون مع الكلاب جيفة الدنيا ـ كما وصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ فهم لا يطيقون سماع صوت الواعظ الناصح المشفق الذي يذودهم عما يهلكهم ويهديهم الى سواء السبيل. فلننظر أيهم اشد جرما وأعظم ذنبا بإساءته الى المرجعية؟ ذاك الناصبي البعيد الذي يثير بعدوانه الهمم للدفاع ويوحد الصفوف ويحرك مشاعر النصرة ويصنع من المظلوم رمزا؟ أم هذا المنافق المرائي الذي يخدع الناس بتدينه الزائف فيحملهم على التصديق بما يفتري ويكذب؟. إن الجواب موجود في كتاب الله تعالى حينما أعلن بوضوح (والفتنة أشد من القتل) (البقرة/١٩١) (والفتنة أكبر من القتل) (البقرة ٢١٧) فالقتل المعنوي أعظم جرما عند الله من القتل المادي، او قتل الشخصية أشد من قتل الشخص. فما لهم كيف يحكمون؟. إن الإمام الحسين (عليه السلام) وإن قتلته أسياف جيش عمر بن سعد على صعيد كربلاء، إلا أن الذي قتله قبل ذلك من أصدر الفتاوى في جواز قتله من علماء السوء الذين باعوا آخرتهم لدنيا غيرهم فاعتبروا الإمام الحسين (عليه السلام) خارجا على إمام زمانه ومفرقا لجمع المسلمين وحكمه القتل حتى قالوا (لقد قتل الحسين بسيف جده)! ولم ندر كيف أصبح يزيد إمام الزمان وزبانيته هم جمع المسلمين؟ وبأي فتوى أبيح قتل الأطفال حتى الرضيع وسبي عقائل النبوة وغيرها من الفظائع؟. فالذي نرجوه أن يكون الناس واعين ولا ينخدعوا بالمظاهر البراقة ويغفلوا عن الحقائق والمضامين، فان الكثير ممن أججوا المسيرات والمظاهرات استنكارا للرسوم المسيئة الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) هم من أسس لهذه الإساءة بإصدار فتاوى القتل والتفجير والتدمير والذبح باسم الاسلام ونبيه البريء من هذه الجرائم والموبقات لكنهم حملوا النبي (صلى الله عليه وآله) هذه الأوزار بسوء صنيعهم وأعطوا المبرر لغير المسلمين بأن يسيئوا الى شخصه المبارك ثم يصيحون بالويل والثبور ويتباكون للرسوم المسيئة الى النبي (صلى الله عليه وآله). من اجل هذا كان المنافقون المراؤون أشد خطرا على المجتمع الإسلامي من الكفار والمشركين، وتوعدهم الله تعالى بأنهم في الدرك الأسفل من النار، ولذا كانت معارك أمير المؤمنين (عليه السلام) أشرس وأشد تعقيدا من معارك رسول الله (صلى الله عليه وآله) لان قتاله (عليه السلام) كان على التأويل الذي تشتبه فيه الأمور وتختلط الأوراق بينما قاتل النبي (صلى الله عليه وآله) على التنزيل الذي أمره واضح.

تتمة: الحوزة العلمية وأداء شكر النعمة

٧ـ إن من وظيفة الحوزة العلمية الإصلاح وتغيير الواقع الفاسد ومقاومة الظلم والانحراف على جميع الأصعدة، ومنها السلطة والحكم، وقد أتيحت لهذا الجيل فرصة لم تكن متاحة من قبل لتحقيق ما يمكن تحقيقه من خلال صناديق الاقتراع في الانتخابات، ورغم وجود تحفظات لدينا على سير هذه العملية وملابساتها، إلا أنها تبقى الطريق المتيسر الآن للتغيير، ولا يعذر المجتمع من حاول التغيير بغيرها، ولا شك أنه يوجد في المرشحين من يؤمل منه الخير ويرجى فيه الصلاح والإصلاح. كما لا يعذر من تقاعس عنها لسبب أو لآخر، وقد جرب من تخلف عن المشاركة فلم يجن إلا الضعف والتقصير ووخز الضمير.

أيها السادة المحترمون:

إن الأمة تكون بخير ما دامت الحوزة العلمية بخير وتؤدي دورها بشكل فاعل وتأثيرها في صلاح الأمة وفسادها ـ والعياذ بالله ـ أشد من تأثير الحكام، وقد قربنا ذلك في بعض كتبنا (٦) عندما شرحنا الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي، وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل: يا رسول الله ومن هما؟ قال: الفقهاء والأمراء) (٧).

وإن من تابع تاريخ الأمم السالفة وحتى أمة الإسلام يجد أن سنة الله تعالى جارية فيهم على حد سواء (فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا) (فاطر: ٤٣) فما دام هناك امتداد صالح للأنبياء والرسل فإن الأمة تبقى عصية على الانحراف والابتعاد عن الشريعة، وإذا لم يكن مثل هؤلاء العلماء الصالحين من أمناء الرسل على شرائعهم فإن الأمة تضيع وتغرق في التيه وتخلف الحق وراء ظهورها ولا تنفعها البينات والحجج التي جاءهم بها نبيهم الكريم، كأهل مصر بعد يوسف (عليه السلام) على رغم ما رأوه على يديه من معجزات وكرامات وإنقاذ حياتهم من الجوع والقحط وتخليصهم من جور الظلمة، قال تعالى: (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) (غافر: ٣٤)، وهكذا الأمم الأخرى، أما شريعة سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) فقد حفظها الله تبارك وتعالى بأئمة معصومين هداة مهديين ومن بعدهم بعلماء عاملين مخلصين صادقين حتى يظهر الله تعالى دينه على يد بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه)، ولذا ورد في الحديث الشريف الذي بدأنا به الكلام أن النجاة في الدنيا والآخرة تكون بمتابعة العلماء، فكونوا منهم ليس فقط بالزي والشكل والعناوين البراقة وإنما بالعلم والعمل الصالح والسير على خطى رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

تتمة: إدامة آثار الشعائر الحسينية ضمانة التقدم

فالمأمول هو أحياء هذه الشعائر بشكل واع مع استحضار للأهداف التي أسست من أجلها، والمبادئ التي أراد الأئمة المعصومون (عليهم السلام) تركيزها من خلال إحيائها، فلم يستشهد الإمام الحسين (عليه السلام) من أجل أن نبكي عليه فقط أو لنتفجع ونحزن، وإن كان هذا مطلوبا في نفسه، ولكن الهدف هو توظيف هذا الحزن والبكاء والألم في رفض الظلم والانحراف والفساد والسعي بهمة عالية نحو الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمأمول أيضا إدامة هذه الآثار المباركة التي عاشها الجميع خلال أيام المناسبة لتكون خصالا ثابتة في سلوكنا، مثلا رغم مشاركة الملايين في الزيارة إلا أنه لم يحصل خلاف أو شجار بين الزوار بل إذا وقع خطأ ـ كارتطام سيارتين مثلا ـ كان المجني عليه يسبق الجاني للاعتذار منه وتحمل نفقات إصلاح سيارته.. أقول: هذا السمو وهذا النبل لماذا نتخلى عنه عندما نعود إلى أهلنا وديارنا فتحصل النزاعات لأمور تافهة عند الله تبارك وتعالى، أليس هذان المختلفان هنا هما من تعاملا بذلك النبل في رحاب أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وكلاهما شيعة علي والحسين (عليهما السلام)؟ فما حدا مما بدا!

إن الإنسان حينما يحسن فإنه أول المستفيدين، مع انتفاع غيره بإحسانه، فالحسين (عليه السلام) الذي نحيا ببركات شهادته المقدسة كان هو أول من قبض الثمن كما ورد في خطاب جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) إليه (إن لك مقامات عند الله لن تنالها إلا بالشهادة).

قال تعالى (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) وكل ما يعتقد الإنسان أنه قدمه لله تعالى أو لغيره فإنه إنما قدمه لنفسه حقيقة، والله هو المتفضل المنان الذي لا يجازي إحسانه.

إن ديمومة هذه الخصال الكريمة والتحلي بالآثار المباركة للزيارة هي الضمانة لبقاء الأمة حية وفي عزة وكرامة وتقدم وازدهار، وعدم العودة إلى عصور الظلم والاستبداد والديكتاتورية، وليست الضمانة أن يجتث هذا ويفصل ذاك، فما دامت النفوس الأمارة بالسوء التي تنادي (أنا ربكم الأعلى) موجودة، وما دام إبليس يمارس غوايته للبشر، فلا يفرحنا إعدام صدام أو علي الكيمياوي وسائر المقبورين من الطغاة، لأن المصنع الذي ينتجهم موجود، فلا تغرنكم هذه الضجة المفتعلة التي يراد منها ما يراد في حساب المصالح ولنا في حياة الأئمة (عليهم السلام) شواهد وأمثلة، فما قيمة زوال حكم بني أمية إذا كان خلفهم بني العباس، حتى قال الشاعر:

فليت جور بني مروان عاد لنا
وليت عدل بني العباس في النار

إن عظمة الإمام الحسين (عليه السلام) تتجلى في هذه الديناميكية وال